إذا شبت الحرب فى البحر الأبيض

للأستاذ فوزى الشتوى

خطوة متوقعة

لا تعتبر الخطوة التى اتخذتها الأميرالية البريطانية بإخلاء البحر الأبيض المتوسط من سفنها التجارية خطوة مفاجئة ، فقد تنبأ رجال البحرية منذ سنين بأن خطة انجلترا إذا اشتعلت الحرب لن تخرج عن ثلاث وسائل

أولها — إغلاق البحر الأبيض المتوسط إغلاقاً تاما ومنع الملاحة فيه ، على أن تترك بعض السفن الحربية الخفيفة للدفاع عن شواطئ البلاد الوالية للحلفاء

وثانياً — أن تسير الملاحة فى طريقها الطبيعى ، على أن تقسم حماية طرق الملاحة بين الأسطولين البريطانى والفرنسى ، فيتولى الأسطول البريطانى حماية الجزء الشرقى ، ويتولى الأسطول الفرنسى حماية الجزء الغربى

وثالثاً — الالتجاء إلى خطة وسط ، وهى تقضى بإخلاء البحر الأبيض من الأساطيل التجارية وحدها ، مع إغلاق جبل طارق وقنال السويس وعدن فى البحر الأحمر ، وتوجيه قوات الحلفاء إلى القضاء على القوات المعادية

ويظهر من التدابير التى اتخذتها انجلترا أخيراً أنها ستنفذ إحدى الخطتين الأولى أو الثالثة ؛ فإذا طال أمد الحرب أخليت جزيرة مالطة ؛ فإن قربها من مواقع إيطاليا الحربية مع صغر مساحتها يجعلها قاعدة جيدة للهجوم

اتفاقات سرية

ونظرة واحدة إلى خريطة البحر الأبيض المتوسط والمواقع الحربية التى تسيطر عليها الدول المتحاربة تبين خطورة الموقف

لكل زمان ومكان حتى يتخلع من أذهان الواهمين ما اعتقدوه من تنافر الدين مع ألوان الحضارة ومجافاته أساليب الرقى العلمى والفكرى

إن الأمة تضع الأزهر فى مكان القيادة منها ، أو هى ترجو ذلك فيه ؛ فليعرف الأزهر هذه المنزلة وليحرص عليها ، وليعمل على الاحتفاظ بها ، ولا يمتعض رجاله من كلمة الحق تقال فى صراحة سافرة على منبر عام أو خاص ، فإنها إنما تقال بإخلاص لمصلحة الأزهر وخيره ، والإبقاء على منزلته ومكانته

إن النفور من دعوة الإصلاح ، والهرب من مواجهة العلل وإغماض العين ولوى العنق سياسة غير صالحة فى هذا العصر ، وإنه لا يكفى أن تقنع فى نفسك بأنك خير الناس ليعتقد الناس فيك هذا ، ولكن يجب أن تبرهن لهم عملياً على ذلك وتشعرهم بأنك تحس بإحساسهم وتفكر فى حل مشكلاتهم ، ولعلنا ننتفع بما أرشد إليه أستاذنا الأكبر فى خطابه الأخير من قوله : « إنى أرحب بالنقد البرىء ، وأنصح لكم ألا تضيق به صدوركم ، فإن كان حقاً فاشكروا الناقد واعملوا على الخلاص من الخصال التى كانت سبب النقد ، وإن كان غير حق فادفعوه بالحسنى وأظهروا براءتكم مما وجه إليكم »

لقد كان للأزهر فيما مضى موقف سلبى فيما يتصل بتنظيم الفقه وتحويره وتعديله للانتفاع به فى القانون والتشريع ؛ وما زال هذا الموقف السلبى وصمة فى تاريخ الأزهر ، تمض العين منها على قذى موجع ، وتنطوى الأحشاء منها على ألم ممض ؛ ولقد كان من أثر هذا الموقف المعيب الذى حرص أصحابه عليه « تورعاً » فيما زعموه أو فيما زعم لهم بعض الناس ، أن تحاكم المسلمون إلى غير شريعتهم ، وألزموا بغير قوانينهم ، وهو ما نأسف له جميعاً ؛ فهل يكون موقف العلماء اليوم كموقف أسلافهم بالأمس ؟ أو هم مستعدون لإصلاح هذا الخطأ وإقناع الناس بأن الشريعة الإسلامية السمحة غير عاجزة عن مسايرة المدنية فى أجلى مظاهرها ، وإدراك غاية الإصلاح الاجتماعى وتلبية حاجاته ومطالبه ، فيصدروا فى فقههم عن هذه الروح التى لا تتغل ما جدّ للناس من نظم ومعاملات ؟

إن اليوم الذى يخرج فيه العلماء للناس بهذه الفقه النافع لهو يوم النصر الذى يتمناه المسلمون جميعاً ؛ وهو اليوم الذى يصل فيه الأزهر — كما يقول الأستاذ المراغى — إلى الغاية التى يرجوها من أداء الرسالة الإسلامية على الوجه الملائم لطبيعة العصر وعقلية الناس

وكم نرجو أن يتحقق ذلك فى هذا العهد المبارك لنمحو من الأذهان موقف السلبيين ، وليشهد التاريخ أن الأزهر فى عصر فاروق غيره فى عصر إسماعيل ، وأنه على عهد المراغى غيره كذلك على عهود من سبقه من الشيوخ

عبد العزيز محمد عيسى
مدرس بمعهد القاهرة

وما يكلفه الصراع لتأمين مواصلاته من تضحيات غالية، فلانجلترا وفرنسا مواقع بحرية كثيرة انتشرت فى أخطر مواقعه ممتدة من شرقه إلى غربه ، ومن جنوبه إلى شماله ، بحيث يتيسر لقوات هذه الجهات التحكم فى جميع طرق الملاحة ، فضلاً عن سيطرة انجلترا على أبوابه فى جبل طارق وفى قنال السويس . أضف إلى ذلك ما يقال عن وجود اتفاقات سرية تضع موانئ الدول المحايدة تحت تصرف الحلفاء

أما إيطاليا فطبيعة موقعها الجغرافى تشطر البحر الأبيض إلى شطرين : الجزء الشرقى والجزء الغربى . والقسم الأخير شديد الخطورة نظراً لكثرة مواقع إيطاليا البحرية عليه ، ولأن شواطئها

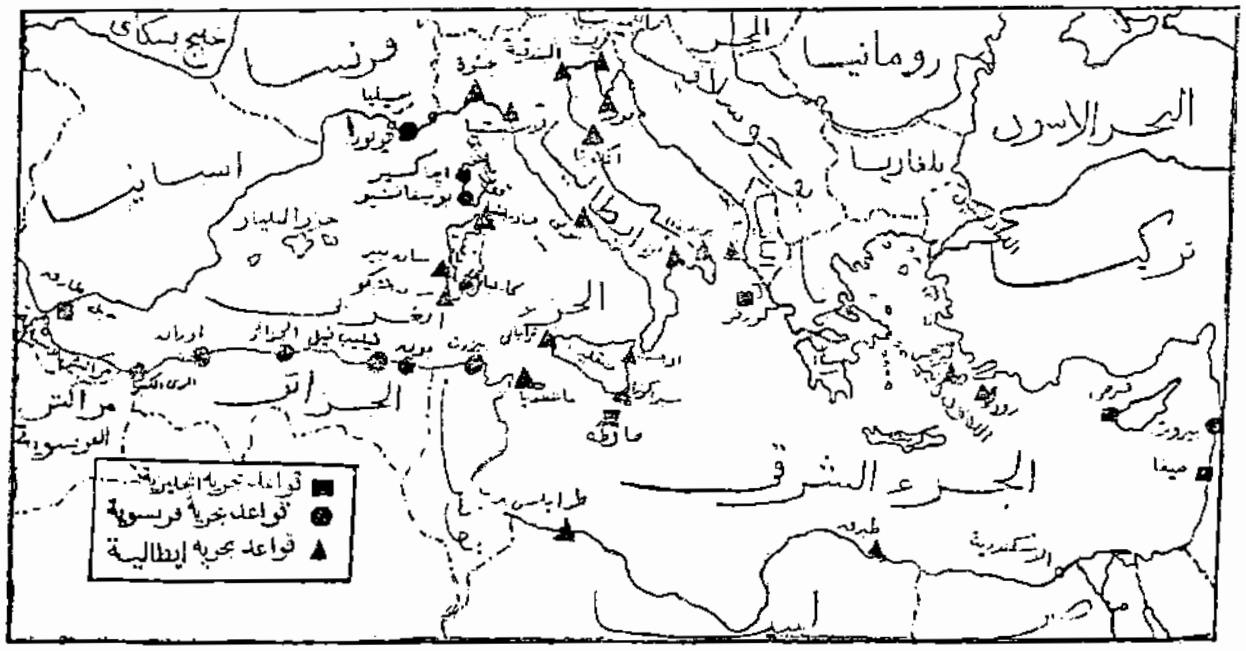

تكون جزءاً منه يمتد من ميناء جنوة بطول الساحل الإيطالى حتى جزيرة صقلية إلى جزيرة بنتلاريا التى تقف فى وسط المضيق فتتحكم فى طرق الملاحة

تونس

ولا يضايق هذا الخط إلا الشاطئ الإفريقى فى تونس ، وقد أنشأت عليه فرنسا ميناء بنزرت ؛ ولعل هذا الوضع يوضح خطورة مطالبة إيطاليا بتونس التى تجعل خطها مقفلاً لو تيسر لها الاستيلاء عليه ، ويساعد هذا الخط المواقع البحرية التى أنشئت على جزيرة سردينيا الإيطالية ، فلا يقتصر تهديده على مواصلات البحر الأبيض بين شرقه وغربه، بل يتعدى إلى تهديد خطوط المواصلات بين فرنسا ومستعمراتها فى أفريقيا

وهذه المواصلات هامة جداً فى نظر فرنسا ، لأنها الطريق القصير لنقل قوات المستعمرات إلى فرنسا لتغذية قوات خط ماجينو ، ولم تغفل فرنسا خطورة مواقع القواعد الإيطالية ، فأعدت فى قورسيقا ميناءين خطيرين لها من حصانتهما ما يكفل إفساد الخطط الإيطالية . وقد اشتغل فيهما أمهر المهندسين الفرنسيين ، حتى جعلوهما من أمنع المواقع ؛ وما زالت أسرار دفاعهما وهجومهما سراً محفوظاً فى صدور منشئيهما ؛ ولم تتح زيارة بعض مواقعهما إلا لصحافى واحد لم يخرج من زيارته لها إلا ببعض معلومات زهيدة وصور شائعة .

ولا يسع الباحث أن يتجاهل موقف أسبانيا فى هذا الصراع فإن حكومتها الحالية وليدة الأطماع الدكتاتورية فى إيطاليا وألمانيا ولها جزر البالیار التى قيل أثناء الحرب الأهلية الأسبانية إن إيطاليا أعدتها لقطع مواصلات فرنسا مع مستعمراتها ؛ فإذا انحازت إلى جانب الدكتاتورية ، فإن الخط يتضخم، على أنه لن يحد من نشاط الحلفاء ، فيسهل تحويل طرق الملاحة إلى المحيط . ولن تستطيع القوات المعادية أن تقترب من الشواطئ الإفريقية لخطورة المواقع البحرية التى أنشئت عليها بطول الساحل من المرسى الكبير إلى بنزرت

الحصر الاقتصادى

ولاشك أن الحلفاء سيتخذون إقفال البحر الأبيض وسيلتهم لتجثو الدول المعادية على ركبتيها ؛ وأول نتائج هذا الإقفال عزل إيطاليا عن مستعمراتها فى شرق أفريقيا وفى شمالها ؛ وبهذا الحصر تخسر إيطاليا ٨٦٪ من ملاحتها خسارة لا يمكن الاستعاضة عنها، لأنها لا تملك شواطئ على غير البحر الأبيض ، بينما تتمتع فرنسا بشواطئها على خليج بسكاى ، وعلى بحر الشمال

وعدد البواخر التجارية التي تصل أو تغادر انجلترا يومياً ٨١٥ سفينة، متوسط حمولة كل منها ثلاثة آلاف طن يخترق منها البحر الأبيض ٥٧ سفينة فقط يحول طريقها إلى رأس الرجاء الصالح . وتخسر فرنسا ٢٠٪ من بترولها الذى تستورده من العراق ، ولكن خسارة إيطاليا فى هذا المادة الأساسية للحرب خسارة فادحة . فهى تستورد من العراق ٧٠٪ من البترول الذى تستهلكه وهو يرد إليها عن طريق جزئه الشرقى ومركزها فيه أضعف من مركزها فى الجزء الغربى ، فليس لها فيه إلا خط مشاغب يبدأ من جزيرة ليروش فى جزر الدودكانيز ، وينتهى فى طبرق . وقد أعدت هذه الموانى لتكون قواعد جوية للطائرات وقواعد بحرية للغواصات

ولكن هذين الموقعين مهددان بمواقع الحلفاء وخصوصاً من جزيرة قبرص ، التى فاقت جزر الدودكانيز فى سلاحيتها للاستعدادات العسكرية من مطارات برية وبحرية ومن قواعد للأساطيل البحرية . وهى لا تبعد عن جزر الدودكانيز إلا ٢٢٠ ميلاً تقطعها قاذفات القنابل فى أقل من ساعة

قبرص والاسكندرية

ولميناء حيفا أهمية خاصة فى نظر الحلفاء، ففيها تنتهى أنابيب البترول العراق ، ولكن طبيعة أرضها لم تمدها لتكون ميناء حربياً جيداً . فاتخذت الاحتياطات للدفاع عنها من قبرص والأسكندرية فبعدها عنها قصير ، وهى تمثل الزاوية الثالثة من مثلث ضلعه من قبرص إلى الأسكندرية يواجه الخطر الأجنبى .

وإذا نشبت الحرب فإنه ينتظر أن تصبح الإسكندرية قاعدة الأسطول البريطانى ، فإن جزيرة مالطة لا تصلح فى رأى الخبراء البحريين لحرب طويلة الأمد ، وإن كانت فى أول الحرب تتخذ كقاعدة خطيرة للهجوم على مواقع الدول المعادية ، فهى لا تبعد عن صقلية إلا عشرين دقيقة بالطائرات . وأكبر عيوبها ضيق ميناءها مما لا يساعد على الحركات البحرية

ويختلف رجال البحر ورجال السياسة إزاء إخلاء هذه الجزيرة، فيدعى فريق أن إخلاءها يحط من هيبة انجلترا فى نظر حلفائها ، ويرى الفريق الآخر أن إخلاءها هو الخطوة الأولى لنصر محقق ، وخصوصاً إذا تم هذا الإخلاء من بدء الصراع ، لأن التجاء الأسطول إليها يجعله فى مركز حرج ويعرضه للهجات المعادية، ويرون الاستعاضة عنها بميناء الإسكندرية التى تعتبر أصلح ، ولا سيما بعد التحصينات التى أضيفت إليها .

كورفو والادرياتيك

وقد يظن البعض أن بحر الإدرياتيك يصبح بحيرة إيطاليا الحصينة ، وخصوصاً بعد ما استولت على ألبانيا ، فقبضت بذلك على مدخله من الجانبين ، ولكنه يقال إنه توجد اتفاقات سرية مع يوجوسلافيا واليونان تقضي بوضع موانيهما تحت تصرف أساطيل الحلفاء ، ومعنى ذلك سهولة مهاجمة سواحل إيطاليا المكشوفة من الشرق، كما يسهل على موانى فرنسا مهاجمة شواطئها الشرقية من تولون ومرسيليا وأجاكسيو وغيرها . أضف إلى ذلك وجود جزيرة كورفو القريبة من هذا المدخل ، وبواسطتها يسهل حصر أسطول الإدرياتيك الإيطالى

ويجمع الرجال العسكريون على أن دخول إيطاليا الحرب يفتح الطريق أمام قوات الحلفاء لمواجهة قوات ألمانيا، سواء من إيطاليا أو من يوجوسلافيا ، إذ يهاجمون النمسا من القاطعة المعروفة باسم سلوفانيا ، وحصون ألمانيا من ناحيتها أضعف منها فى أى مكان آخر . أضف إلى ذلك أنه يتيسر لهم جعل حصارهم الاقتصادى فعالاً ؛ فإن إيطاليا ودول البلقان هى أكبر ممول لألمانيا ، والغالب أن يجر دخول إيطاليا الحرب إلى حرب عامة تحرم المحور من خاماته سواء كانت حربية أم مدنية فتجوع بطون الرجال، ويبطل عمل الأدوات من مدافع وطائرات ومدرعات

فوزى الشترى
بكالوريوس فى الصحافة